

التعلم - - وحي السماء

د. شاكر عبد مرزوك

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الامين .

اما بعد :

فان الاسلام يحض على طلب العلم والتعلم ، انطلاقا من معرفة الحقيقة الازلية التي ينبغي لكل عاقل ان يعرفها قبل ان يعرف حقائق الكون ، وسائر الموجودات ، الا وهي الايمان بوحداية الله سبحانه وتعالى ؟ . قال تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (محمد : ١٩) ، وقال عليه افضل الصلاة والسلام : انما بعثت معلما ، انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) (رواه ابن ماجة) .

والانسان بفطرته قادر على اكتساب العلم والمعرفة والتدريب على المهارات والصناعات المختلفة ، مما يؤهله لان يحمل الامانة ، ويبلغ الرسالة ، وذلك لامتلاكه نعمة الادراك الحسي ، والتفكير المنطقي .

وترجع قابلية التعلم لدى الانسان الى بدء خلقه ، اذ خلقه الله سبحانه وتعالى وعلمه ما لم يكن احد يعلمه سواه . قال تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {٣١} قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} {٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} {٣٣} (البقرة: ٣١ - ٣٣) .

لقد كان مصدر العلم الاساس في ظاهرة التعلم الاولى رب العزة تبارك وتعالى بوساطة وحي السماء . ولن يقف هذا المصدر عند تعليم الانسان وحته على كسب العلم ، لذلك توالى النبوءات ، وتتابع الرسل وكان الوحي الوسيلة التي يتم عن طريقها نقل الرسالات الى بني البشر ، يبصرهم الله فيما ينبغي ان يبصروا به ، ويذكرهم بما نسوه ، ويدفعهم الى ما فيه خيرهم في الحياة ، وبعد الممات ولاهمية التعلم علاقته مع وحي السماء من حيث النشأة البشرية كان هذا البحث الذي حمل عنوان (التعلم - وحي السماء) وقد قسمته على مقدمة ومبحثين

المبحث الاول تحديد مفهوم التعلم .

المبحث الثاني التعلم وظاهرة الوحي

وختمت بخاتمة بينت فيها اهم النتائج والتوصيات

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

المبحث الاول

اولا: تحديد مفهوم التعلم

من المسلم به ان التفاعل بين التعلم والتعليم في اوضاع تعليمية مدروسة لا تحكمه علاقات عشوائية ، او غير منتظمة ، اذ لا بد من خضوع هذا النوع من التفاعل الى مجموعة اجراءات مضبوطة ، يستطيع المعلم من خلالها استثمار مفاهيم التعلم ومبادئه ونظرياته على نحو منهجي ؛ بحيث يتمكن من تخطيط نشاطاته التعليمية في مناخ صفي ملائم ، يكفل تعليما فعالا ، ينعكس في اداء او تحصيل مرغوب فيه . (فرحان ، وآخرون : ١٩٩٤ : ٩١) .

وبعد الانسان ارقى المخلوقات عامة لما ميّزه الله سبحانه وتعالى به من عقل و ارادة ، وحرية اختيار ، وقدرات غير محدودة على التعلم، والفهم، والاستيعاب والانتاج، والعمل، والبناء ، واذا كانت لدى باقي المخلوقات قدرات خاصة على التعلم والمحاكاة فانها تكون قدرات محدودة للغاية .

وان قدرة الانسان على التعلم تعد من الخصائص المهمة التي تميزه عن غيره من الموجودات الاخرى حيث ان هذه الخصائص تجعله ذا فائدة كبيرة للفرد والمجتمع .

وتعرف الدكتورة "رمزية الغريب" التعلم بشيء من التفصيل فتقول : (ان التعلم ظاهرة نفسية او سلوكية تتمثل في تغيير الكائن لسلوكه كالاستجابة لمنبهات معينة داخلية او خارجية او لكليهما معا) (الغريب : ١٩٧٨ : ١٠٩)

والتعلم ظاهرة انسانية ترتبط بكل مراحل النمو الانساني ، اذ لم تكن قاصرة في مرحلة من المراحل . وان فهم هذه الظاهرة تهم الاخصائي السيكولوجي وعلماء نفس التعلم والمعلم ومن يخططون لمواقف التعلم ، فعلماء نفس التعلم يحددون الطرائق التي يتعلم بها الافراد ويفسرون طرائق تطور الفكرة في اذهانهم ، والتربوي المعلم معني بتقديم الوجبة التعليمية المناسبة حتى تطابق اسلوب تعلم المتعلم ، فالمعلم الخبير هو المعلم الذي تصبح لديه القدرة على تقديم اي معلومة بطرائق متعددة، لكي تتناسب معظم الطلبة في الصف الدراسي ، وقد فرض ذلك الافتراض ان من حق اي متعلم ان يجد ما يناسبه في اي خبرة تقدم في الصف وان هذا الامر فرض على المعلم المؤهل . (قطامي: ٢٠٠٥ : ١)

ويعرف جيلوفورد (GUILFORD) التعلم بانه "التغيير في سلوك الفرد الناتج عن استثارة، وطبيعة الاستثارة تمتد من مثيرات فيزيائية بسيطة تستدعي نوعا من الاستجابات الى مواقف اخرى غاية في التعقيد . فتعرض الفرد لتيار الهواء البارد يجعله يتحرك لاغلاق النافذة التي يأتي منها هذا التيار ، فهنا تعرض الفرد لمثير معين فتغير سلوكه نتيجة تعرضه لهذا المثير . اما عندما يريد الفرد المتعلم قيادة

السيارة فهذا الموقف يتضمن عددا من المثيرات المتشاركة التي تستدعي نوعا جديدا من السلوك ، لا يظهر دفعة واحدة، وانما يمر بمراحل مختلفة يتحسن في اثنائها حتى يصل الى شكله النهائي في نهاية عملية التعلم . ومن الامثلة على التعلم شخص ذاهب الى عمله وفي طريقه المعتادة فوجئ بحادث ، فغير طريقه الى اخر فالحادث هنا يمثل المثير ، وتغيير الاتجاه هو استجابته ، فهذا الشخص قد تعلم انه عند حدوث حادث في الطريق عليه ان لا ينتظر؟. بل عليه ان يجد طريقا اخر (مرعي والحيلة، ٢٠٠٥ : ٢٢)

ثانيا: انواع التعلم

ترتبط انواع التعلم بالاهداف التي يراد تحقيقها لدى الافراد ، ولما كان للتعلم صلة وثيقة في التنمية الثقافية لدى الفرد فانه يمكننا ان نصنف انواع التعلم من حيث الهدف الى الاتي : (السمالوطي : ١٩٨٠ ، ١٤٠)

١- تعلم معرفي : ويرمي الى اكساب الطلبة مجموعة من المعلومات كأن يعرف اين ولد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) . او ما هي شروط صلح الحديبية ؟.

٢- تعلم لفظي : ويرمي الى اكساب الطلبة المهارات اللفظية ، كأن يتعلم نطق حروف اللغة العربية .

- ٣- تعلم حركي : ويرمي الى اكساب الطلبة مجموعة من المهارات الحركية المعينة مثل كيفية اتقان حركات الصلاة او قيادة السيارة
- ٤- تعلم اجتماعي : ويرمي الى اكساب الطلبة مجموعة من المهارات الاجتماعية عند تعاملهم فيما بينهم او مع الآخرين كالامانة والاخلاق.
- ٥- تعلم عقلي: ويرمي الى اكساب الطلبة انماط وعمليات عقلية مثل كيفية التفكير المنطقي السليم .
- ٦- تعلم وجداني: ويرمي الى اكساب الطلبة العادات والاتجاهات والقيم والعواطف ، وكيفية ضبط النفس عند الغضب .
- ولاصحاب الاختصاص وعلماء النفس نظريات متباينة في التعلم تختلف باختلاف مدارسهم ومذاهبهم الفكرية تبعا الى معتقداتهم وافكارهم وحياتهم العملية

ثالثا: ادوات التعلم ووسائله:

١-العقل

میز الله سبحانه وتعالى الانسان عن غيره من المخلوقات بنعمة العقل الذي يدرك الاشياء به، ويفكر ، ويحلل ،ويستنبط من خلاله كما يقرر ، ويختار عن طريقه مما يجعل منه مخلوقا قادرا على التعلم، والفهم ،والاستيعاب ،والتفكير،

والاستنتاج ، والقياس ، وربط الاسباب بالمسببات ، والتخيل ، والابداع ، كل ذلك ليحقق الاهداف التي وجد من اجلها على هذه الارض .

ولقد وجهنا سبحانه وتعالى الى استعمال هذه النعمة استعمالا منطقيا سليما يقوم على اساس راشد لتكون نتائج التعلم سليمة . فحثنا على التفكير في خلق الله، واياته والتأمل في كونه ، وملكوته ، واخذ الدروس ، والعبر من سننه لذلك انتهى على الذين يذكرونه ، ويتفكرون في خلقه فقال (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (ال عمران ، ١٩١) كما ذم الله تعالى الذين لا يستعملون هذه الموهبة استعمالا سليما فجعلهم مثل البهائم التي ترعى ، ولا تفكر فقال (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (الانفال : ٢٢) فالانسان العاقل هو الذي يقدر ، ويحسن التصرف ، ويستقرئ الحوادث استقراءً سليماً ، ويوجه تفكيره الى الايمان بحقائق الموجودات بعيدا عن مهاوي الزيف والضلال ليصل الى الحقيقة المطلقة فيؤمن بوجود الله وقدرته وعظمته ، وان من ابرز قدرات العقل البشري قدرته على النمو المعرفي مما يجعل الانسان في تقدم فكري مضطرد يساعده على تنمية الخبرات وادراك حقائق الاشياء ادراكا سليما واعيا .

٢- الحواس

انعم الله تعالى على الانسان بخمس حواس: السمع، والبصر، واللمس، والذوق والشم، لتسهم في تزويد الانسان بالمعارف المختلفة التي لا يتم تعلمها الا عن طريقها، فالسمع يعرف الانسان الاصوات التي حوله فيميز بينها ويشعره بوجوده ووجود الآخرين، والبصر يعرف الانسان بما يراه ويجعله قادرا على تمييز الاشياء واختيار الافضل منها وملاحظة حركات الناس وما يبدو من عواطفهم وانفعالاتهم، وعن طريق اللمس يتحسس الاشياء ويعرف نوعها واشكالها وقوامها، كما يعرفه الذوق على انواع الاطعمة المختلفة ويجعله قادرا على التمييز بينها من حيث النكهة، والطعم، والجودة، والرداءة، وبالشم يدرك الانسان الغازات ويعرفه على جيدها وفاسدها. ولا تتم هذه المعرفة للاشياء الا لمن يملك الحواس السليمة. وتعد الحواس هنا ادوات مرتبطة بالعقل البشري ارتباطا وثيقا، وهو الذي يسهم في ادراكنا للاشياء. ولقد ربط سبحانه وتعالى بين هذه الحواس ومدركات الانسان قال تعالى: (وَاللّٰهُ اَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ اُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل، ٧٨)

٣-الخبر

وينقسم على قسمين :

اولا :الخبر الانساني.

ثانيا: الخبر الرباني (الوحي)

اولا : الخبر الانساني

ويتم عن طريق معرفتنا مما نتعلم ، ومنه ما يفيد العلم اليقيني (وهو المسلك الذي يعتمد على شهادة المخبرين الصادقين الذين يستحيل اتفاقهم على الكذب او يعتمد على شهادة نبي من الانبياء المؤيدين من عند الله تعالى بالمعجزات الباهرة)(الميداني :١٩٨٤ : ٢٩٧) . ومثاله كذلك ما رواه الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك ما رواه الانبياء والمرسلون عن الله عز وجل .

- ومنه الاخبار المتواتره التي تصل الينا دون ان نراها مثل وجود حيوانات معينة في بلاد بعيدة او حدوث حوادث ، وبراكينالخ.

ومن الاخبار الانسانية ما يكون كذبا كذلك .

ثانيا: الخبر الرباني (الوحي)

يسهم الوحي في تعلمنا للحقائق التي لا يمكن معرفتها عن طريق الحواس او العقل ، مثل التشريعات الربانية ، والاوامرالالهية، وسائر احكام الحلال والحرام، ولقد اشار الله سبحانه وتعالى الى اهمية الوحي في التعلم فقال : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى : ٥٢)

كما بين لنا القرآن الكريم قدم التعلم عن طريق الوحي فقال مخاطباً لنبيه (صلى الله عليه وسلم) : (وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر : ٦٥) وعن طريق الوحي عرفنا حقيقة الوجود، وحقيقة الخالق ،وطبيعة الانسان ،وطريقة خلقه ، كما عرفنا حقيقة الوجود الانساني والهدف منه .

وعن طريق الوحي كذلك تعلمنا كيف نعبد الله ونتقرب اليه ، وتعلمنا الحلال والحرام وموازن الحق وسوء مسالك الضلال ، وعرفنا اخبار الامم الماضية وقصص النبيين ، ومصير المؤمنين ، ومصائر الكافرين وسائر مظاهر الكون ، فضلاً عن امور كثيرة تتصل بالحياة الدنيوية والاخرية ما كنا نعلمها من قبل .

ومن الوحي ايضا ما لا يرتقي الى درجة اليقين التام الا بشروط كأن يكون

لنبي او غيره مثل :الالهام ، والرؤى الصادقة

والالهام هو كل ما يلقيه الله في روع العبد المؤمن فيفعله ومثاله :

- ما علم به الله سبحانه وتعالى نبيه داوود (عليه السلام) صناعة الدروع قال

تعالى: (وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لَتَحْصَنَكُمْ مِنْ أَسْكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)

(الانبيا : ٨٠)

- وكذلك تعليم يوسف (عليه السلام) تأويل الاحاديث قال تعالى : (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (يوسف : ٢١)

- ومنه ايضا تفهيم سليمان (عليه السلام) الحكم في الغنم الذي رعت في ارض رجل

اخر ، وكان داوود (عليه السلام) قد حكم لصاحب الارض برقاب الغنم فالفهم الله

سبحانه وتعالى سليمان الحكم لصاحب الارض بالانتفاع بدر الغنم وصوفها ونسلها

الى ان يعود الحرث كما كان فيردها الى صاحبها الاول قال تعالى : (وداوود

وسليمان اذ يحكمان في الحرف اذ تفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما)(الانعام : ٧٨ - ٨٠)

- الرؤى الصادقة وهي ما يراه العبد الصالح في منامه فيتحقق ، ويخص بها سبحانه

وتعالى بعض عبادته او قسم من عبادته المؤمنين ، عن عباد بن الصامت رضي الله

عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (رؤيا المؤمن جزء من ٤٦ جزءا

من النبوة رواه مسلم)

- رؤيا يوسف (عليه السلام) قال تعالى : (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف: ٤)

- رؤيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في العام الذي سار فيه الى الحديبية انه

دخل مكة وطاف بالبيت العتيق . قال تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا

بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح : ٢٧)

- ومنها ما حدث مع عبد الله بن زيد بن عبد ربه في رؤيا الاذان وكانت رؤيا حق

فقد اخرج الامام احمد في مسنده عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه : لما امر رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) بالناقوس ليضرب به للناس في الجمع للصلاة طاف

بي وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده.

فقلت له : يا عبد الله اتببع الناقوس ؟

قال : ما تصنع به ؟

فقلت : ندعو به الى الصلاة .

قال : افلا ادلك على ما هو خير من ذلك ؟

فقلت له : بلا .

قال : تقول : الله اكبر اربع مرات الى ان قال فلما اصبحت اتيت رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) فاخبرته بما رأيت.

فقال : انها لرؤيا حق ان شاء الله ، فقم مع بلال فالحق عليه ما رأيت فيؤذن به
قال: نسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه
ويقول : والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي راه.

فقال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فله الحمد .

ولقد ميّز القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بين الرؤى والاحلام ، فكانت
الرؤى كما عرفناها سابقا ، اما الاحلام فهي : كل ما يراه الانسان في منامه ويبعد
عن الحقيقة والصدق ، لذلك فقد اضافها الله سبحانه وتعالى الى الغموض
والاضطراب فقال : (اضغات احلام) (يوسف: ٤٤) .

بينما استعمل لفظ الرؤيا في المواقف الصادقة فقال على لسان الملك في
قصة يوسف (عليه السلام) : (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
تَعْبُرُونَ) (يوسف : ٤٣) وقال على لسان يوسف (عليه السلام) بعد ان تحققت
رؤياه : (وقال يا ابت هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا) (يوسف : ١٠٠)

المبحث الثاني

التعلم وظاهرة الوحي

تمثل لنا ظاهره الوحي انموذجا مثاليا للتعلم، اذ تبين ما ينبغي توافره في عمليه التعليم ليكون التعلم مثمرا، اتيا اكله طيبا، مؤثرا في السلوك ، لذا كان لا بد لنا من نظرة تحليلية دقيقة الى هذه الظاهرة الحقيقية المهمة التي كانت بتوجيه من الله سبحانه وتعالى .

واننا لندرك تماما اهمية هذا الموضوع ، وشدة حساسيته، وضرورة الحرص عليه،و الانتباه في اختيار المواقف والاستفادة منها ،واستعمال الالفاظ، والاصطلاحات المحددة والمناسبة ، وترك كل ما يتعارض معها ، لان ظاهرة الوحي ظاهرة فريدة من نوعها،ولن تتكرر في الوجود اذ لا نبي من بعده (صلى الله عليه وسلم) ولكن يمكننا ان نستفيد من بعض جوانبها التي تعد منارات هدى للمسلمين السائرين على طريق الحق ، والتي لا تتعارض مع خصائص الوحي وخصائص النبوة .

وقصة الوحي نرويه كما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : اول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة (رضي الله عنها) فتزوده لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرا . قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

فقلت : ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني

فقال : اقرا فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني .

فقال :اقرا فقلت : ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني ، فقال

: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣})

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥}) (العلق : ١-٥) فرجع بها رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) (بواده) * (رواه البخاري)

شروط التعلم في التربية الاسلامية

أ-تهيئة المتعلم ، وتكوين ما يسمى بالدافع :

* البوادر ما بين المنكب والعنق في جسم الانسان

ان من ابرز شروط التعلم ان يكون المتعلم مستعدا لما يلقي عليه حتى يكون تعلمه جيدا ، ويحدث هذا الاستعداد بوسائل عدة اهمها تكوين الدافع لديه اذ يرغبه في التلقي ويحبيه اليه .

ويبدو لنا هذا واضحا في ظاهرة الوحي اذ هيا الله سبحانه وتعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) لاستقبال الوحي بالرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح اي واضحة جلية ، (كما اشار الى هذا الحديث) ، ومن ثم يراها في الواقع فتتطبق الرؤيا على الحقيقة ، مما يكسب الفرد ثقة بما يرى ودافعا قويا لمعرفة ما يراه ، ولقد كان في هذا تهيئة له (صلى الله عليه وسلم) لرؤية جبريل (عليه السلام) وتلقي القرآن الكريم وفي رواية عن الامام احمد : ان الله سبحانه وتعالى انزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل (عليه السلام) ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل (عليه السلام) فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة وفي هذا تهيئة له (صلى الله عليه وسلم) .

اما الدافع فقد تكون لديه (صلى الله عليه وسلم) حينما انقطع عنه الوحي مدة من الزمن بعد ان رآه للمرة الاولى مما جعل لديه دافعا قويا واهتماما شديدا وتطلعا حقيقيا الى رؤية الوحي ثانية ومعرفة خبر السماء ، وان هذا الانقطاع كان يورثه حزنا شديدا ، ويبين لنا ذلك الامام البخاري في صحيحه حيث يقول السيوطي (وفتر

الوحي فترة حتى حزن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما بلغنا حزنا عدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انت رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ، فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك). (السيوطي : د.ت : ٤٦)

ولقد علل الامام ابن حجر سبب ذلك فقال ((وكان ذلك اي انقطاع الوحي)) ليذهب ما ان (صلى الله عليه وسلم) وجده من الروح ، وليحصل له التشوق الى العودة . (المباركفوري : ١٩٨٠ : ٧٨)

ب- اثاره الانتباه

تتم اثاره انتباه المتعلم عن طريق دفعه الى حب الاستطلاع والدهشة فيتوجه الشعور توجهها كاملا الى ادارك ما كان مجهولا او مختفيا ، ويعد هذا امرا مهما لنجاح التعليم .

ولقد فجأ الحق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يتعبد في غار حراء (المباركفوري : ١٩٨٠ : ٧٩) مما جعله يتوجه اليه توجهها كاملا ليعرف من الذي يخاطبه وبماذا .

كما كان الوحي (عليه السلام) يأتيه في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح ومسند احمد عن عبد الله بن عمر سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) :

هل تحس بالوحي ؟ فقال : اسمع صلاصل ثم اسكت عن ذلك . قال الخطابي والمراد ان صوتا متداركاً يسمعه ولا يثبت اول ما يسمعه حتى يفهمه بعد .

وقيل : (هو صوت خفق اجنحة الملك ، والحكمة في تقدمه ان يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكانا لغيره) (السيوطي: د.ت ، ٤٦) ، اي ان يثير انتباهه ليعي كل ما يقول كما ان هذه الاثارة حاصلة بما ينزل به الوحي من جديد الايات والتشريعات ليخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

ج- النضج :

يضع علماء النفس بعض المعايير للشخصية الناضجة وهي باختصار ان تملك الشخصية ما يأتي (اي اي : ١٩٨٢ : ٢٢٦)

١- الاتساع الذاتي او الشمول ، وهو عدم حب الذات والانانية .

٢- الاحساس الذاتي ، وهو القوة على رؤية النفس على حقيقتها وملاحظة الضمير والوجدان .

٣- الشعور الذاتي ، وهو الاحساس بالمكانة ومشاركة المجتمع وتحمل المسؤوليات

٤- الثبات الذاتي (او التكيف الذاتي) ، وهو قدرة الانسان على التكيف مع طريقة الحياة .

ونحن نرى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يوح اليه الا بعد ان بلغ سن الاربعين ((كما جاء في رواية الامام احمد)) وكان عليه الصلاة والسلام على

قدر كبير من النضج يؤهله لتحمل المسؤولية وحب الناس له لما يتمتع به من صفات وما فطره الله عليه من اخلاق ، مما يساعده على اداء المهمة المرسل بها وتحمل ما يلقي عليه من اوامر ، والثبات امام المعارضين حتى يؤدي الرسالة ويبلغ الامانة .

ولقد اشارت ام المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) الى نضجه (صلى الله عليه وسلم) بقولها في حديث الوحي (رواه مسلم) لما جاءها (صلى الله عليه وسلم) وهو يرتجف يسألها : اي خديجة مالي ؟ واخبرها الخبر ، قال : لقد خشيت على نفسي . فقالت له خديجة / كلا : ابشر . فو الله لا يخزيك الله ابداً ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (اي الفقير واليتيم) وتكسب المعدوم (اي تعطيه المال) ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .. الحديث .

د- الموقف الجديد :

يعد الموقف الجديد من الشروط مهمة لحدوث التعلم لما فيه من جدة وغرابة لدى المتعلمين تثير الجوانب شتى في نفس المتعلم او المتلقي .

والوحي للرسول (صلى الله عليه وسلم) كان شيئاً جديداً لم يره من قبل مما ملك عليه عقله وقلبه وكيانه وجعله يرتجف من هول ما رأى حتى دخل على خديجة فقال زملوني ، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح الحديث (رواه مسلم)

كما جاء في تنمة هذا الحديث بعد ان اثنت خديجة (رضي الله عنها) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب في الانجيل بالعربية ما شاء الله تعالى ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي عم اسمع من ابن اخيك قال ورقة : يا ابن اخي ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى ، فقال : هذا الناموس الذي انزل على موسى بن عمران (صلى الله عليه وسلم)، يا ليتني فيها جذعا (شابا قويا) يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) او مخرجي هم ؟ قال ورقة : نعم لما يأت رجل قط بما جئت الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً .

هـ - تغيير السلوك :

إن من ابرز حقائق التعلم أن يتمكن الانسان من القيام بعمل لم يكن يستطيع القيام به من قبل ، اي يصبح لديه تغيير في السلوك، ويتأكد التعلم اكثر من خلال

التغييرات الحاصلة في هذا السلوك، ولئن كان تغيير السلوك من اهم اهداف التعلم الا ان التعلم لا يعد تعلما الا اذا حقق هذا الهدف، لذا كان تغيير السلوك هدفا وشرطا .

ولقد نزل جبريل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لينقل اليه خبر السماء ويعلمه تلقية ، لذلك طلب منه ان يقرأ ثلاث مرات الى ان استجاب لهذا الامر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين له جبريل ماذا سيلقي عليه وماذا سيتعلمه بقوله : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١) ومن ثم تحول هذا التلقي الى سلوك حقيقي لدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت دعوة الاسلام .

و- حسن الاستماع :

يشكل السمع وسيلة مهمة لالتقاط المعارف السمعية من الآخرين ، وعن طريق السمع نكتسب معارف كثيرة ونتعلم امورا عديدة وخاصة في مؤسسات التعليم ومعا هذه اذ لا تزال الطريقة السمعية هي الطريقة الاكثر استعمالا واهمية فيها ، لان السمع واحد من اهم المنافذ القوية للعقل ، ولما كان كذلك كان لا بد للفرد من الانصات الجيد الى ما يلقى عليه او يود استماعه حتى يستوعب العقل الكلام

وتخزن الذاكرة المعلومات ولما كان الانصات طريقا للفهم والتدبر والحفاظ فقد

امرنا الله سبحانه وتعالى ان ننصت الى القران اذا قرئ بقوله : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الاعراف: ٢٠٤)

ولئن كان الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القران الا انه دل نبيه الى

الطريق التعليمي السليم ولقد بين هذا صاحب اضواء البيان فقال (الشنقيطي د.ت:

٦٣٩) في تفسير قوله تعالى (ولا تعجل بالقران من قبل ان يقرئ اليك وحيه) وفيه

الايعاء الى حسن الاستماع والاصغاء عند الايعاء به كما في اداب الاستماع

(فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) .

كما اشار الى ذلك ابن عباس رضي الله عنه فقال (ابن

كثير: ١٣٩٣هـ: ج ٢ : ٤٩٥) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعالج من

الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فانزل الله هذه الآية يعني انه (عليه السلام)

كان اذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على

حفظ القران فارشده الله تعالى الى ما هو الاسهل والاخف في حقه لئلا يشق عليه .

ونقل صاحب منتقى النقول عن ابن كثير قوله (ليمود : ١٤٠٢هـ: ٤٢٥)

كان عيه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز

وجل ليساوقه في التلاوة فامر الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي .

ز- التعزيز والتدعيم :

ان كل عملية تعليمية ناجحة لا بد لها من تعزيز للمعلومات او تدعيم لها لتثبت في اذهان المتعلمين وعن طريق تعزيز الاستجابات نعرف هل استطعنا ان نحقق الاهداف المرجوة ونغير سلوك المتعلمين ام لا؟. لذا كانت عملية التعزيز لازمة حيث تساعد المتعلم على استذكار المعلومات ومراجعتها مما يثبتها في ذاكرته ، كما تساعدنا على كشف قدرات المتعلمين ومعرفة مدى تحقيق الاهداف.

وفي ظاهرة الوحي نرى ان جبريل (عليه السلام) كان يعيد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما نزل عليه من القرآن الكريم بين الفينة والاخرى ، كما كان يراجع معه كل رمضان وقد كثر نزوله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام وفاته .

ح:التدرج :

لا بد في كل عملية تعليمية من التدرج في تقديم المعلومات ليكون النجاح مضمونا ولتثبت المعلومات في اذهان المتعلمين .

وفي ظاهرة الوحي نرى ان جبريل (عليه السلام) كان ينزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام بين الحين والاخر كما ان كثيرا من الاحكام كانت تنزل

متدرجة وخاصة احكام الحلال والحرام ، ويمكننا ان نلخص فوائد هذه الطريقة التربوية الهادفة بالاتي:-

١. ان تقديم المعلومات مفرقة متوالية يساعد على تثبيتها وحفظها قال تعالى في كتابه الكريم : (وقرانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (الاسراء: ١٠٦) قال السخاوي في اسرار انزال الله سبحانه وتعالى كتابه منجما على رسوله (صلى الله عليه وسلم) وبين موسى (عليه السلام) في انزال كتابه جملة والتفضيل لمحمد في انزاله عليه منجما ليحفضه .

ولقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة من انزال كتابه منجما على نبيه (صلى الله عليه وسلم) في معرض الرد على الذين كفروا اذ قال في كتابه العزيز : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (الفرقان : ٣٢) يعنون كما انزل على من قبله من الرسل فاجابهم تعالى بقوله (كذلك) اي انزلناه كذلك مفرقا (لنثب به فؤادك) اي نقوي به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان اقوى بالقلب واشد عناية بالمرسل اليه (السيوطي:د.ت: ٤٣) ان المعلومات لو قدمت الى المتعلم مرة واحدة لنفر منها واعرض عنها لتقلها على نفسه وكثرتها وكذلك لو ان القرآن نزل جملة واحدة لنفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من احكام وفرائض ومناهي ، ولقد انتبهت عائشة (رضي الله عنها)الى ذلك، فقد ورد انها قالت (المصدر السابق نفسه) "انما

نزل اول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل اول شئ الا تشرب الخمر لقالو : لا ندع الخمر ابدا ، ولو نزل لا تزنى لقالوا : لا ندع الزنا ابدا "

ط - مراعاة قدرات المتعلمين :

ان اعطاء المتعلمين قدر من المعلومات يناسب قدراتهم واستعداداتهم يجعلهم يقبلون على التعلم بشكل افضل ، كما يمكنهم من الفهم ومتابعة ما يلقي عليهم واستيعابه مما يحقق اهداف التعلم .

وفي ظاهرة الوحي نرى ان جبريل (عليه السلام) كان يتنزل بالقران خمسا خمسا ، فقد اخرج ابن عساكر من طريق ابي نقرة قال : كان ابو سعيد الخدري يعلمنا القران خمس ايات بالغداة وخمس ايات بالعشي ويخبر ان جبريل نزل بالقران خمس ايات خمس ايات (المصدر السابق نفسه) لقد ادرك ابو سعيد رضي الله عنه الحكمة من ذلك في التعلم فالتزم بالطريقة ذاتها في تعليمه القران للمسلمين .

كما اخرج البيهقي في الشعب من طريق ابي خلدة عن عمر قال تعلموا القرآن خمس ايات فان جبريل كان ينزل بالقران (صلى الله عليه وسلم) خمسا خمسا (المصدر السابق نفسه) ولاجل هذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفرق بين الموعظة والموعظة ولا يطيل بها عليهم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان النبي صلى الله : (يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السامة علينا) (رواه البخاري في باب العلم)

النتائج والتوصيات

اولا : النتائج

١- ان قابلية التعلم لدى الانسان ترجع الى بدء خلقه عندما علم الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) الاسماء كلها ، ثم كان الوحي الوسيلة لنقل المعلومات الى نبي البشر، لذا يعد اول من حث على التعلم هو وحي السماء في بداية التبليغ بالرسالة ، حيث اول ما انزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من القرآن الحكيم هي (اقرأ باسم ربك الذي خلق...) .

٢- تعد ظاهرة الوحي انموذجا مثاليا للتعلم اذ تبين ما يجب توافره في عملية التعلم لتكون العملية مثمرة .

٣- ان ظاهرة الوحي ظاهرة فريدة من نوعها ولن تتكرر في الوجود اذ لا نبي بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

٤- ان من ابرز شروط التعلم ان يكون المتعلم مستعدا لما يلقي عليه ليكون تعلمه مثمرا .

٥- تسهم اشارة انتباه المتعلم الى حثه على حب الاستطلاع والدهشة فيتوجه الشعور توجهها كاملا الى ادراك ما كان مجهولا او مختفيا .

٦- ان من ابرز حقائق التعلم ان يتمكن الانسان من القيام بعمل لم يستطيع القيام به من قبل .

٧- ان تغيير السلوك من اهم اهداف التعلم الا ان التعلم لا يعد تعلما الا اذا حقق هذا الهدف لذلك يعد تغيير السلوك هدفا وشرطا .

ثانيا : التوصيات

لا بد لاية مشكلة تربوية ان توضع لها مقترحات ومعالجات يمكن للمتعلم الاستفادة منها وفي هذا الميدان يمكن اجمال اهم التوصيات والتي لها علاقة بالموضوع الاتي:

- ١- التأكيد على الاستعداد الفكري للمتعلم .
- ٢- تنمية الايمان في نفوس المتعلمين وذلك من خلال تبصيرهم بما جاء به وحي السماء حيال التعلم .
- ٣- ان موضوعي الالهام والرؤى الصادقة مظهرين من مظاهر الوحي لا يرتقيان الى درجة اليقين التام الا بشروط كأن يكونا لنبي او يتحقق وقوعها لولي .
- ٤- تبصير المتعلمين بان وحي السماء لا يمكن ان يخالف الحقائق الكونية والخلقية مطلقا ، وانما يكون منسجما مع طبيعة الخلق البشري واحتياجاته الفطرية.

المصادر

القران الكريم

١. السمالوطي ، نبيل محمد توفيق، الاسلام وقضايا علم النفس الحديث ، ١٩٨٠، دار الشروق .
٢. السيوطي ، جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، (د.ت)، دار الفكر ، بيروت - لبنان.
٣. الشنقيطي ، محمد الامين بن محمد المختار ، اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقران ، مطبعة المدني، (د.ت)، القاهرة - مصر .
٤. الصابوني، محمد علي مختصر تفسير ابن كثير، (١٩٨٦) ، دار القرآن الكثير، بيروت - لبنان .
٥. الغريب ، رمزية ، التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية ، ط ٦ ، ١٩٧٨ ، مكتبة الانجلو - المصرية ، مكة المكرمة .
٦. المباركفوري ، صفي الدين ، الرحيق المختوم ، (١٤٠٠ هـ)، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة
٧. الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبله ، اسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ، (١٩٨٤)، عمان ، الاردن .
٨. بيل ، ابي ، السس النفسية في التربية ، ترجمة صبحي عبد اللطيف المعروف ، عالم المعرفة ومكتبة التحرير ، (١٩٨٢)، بيروت - لبنان .
٩. فرحان واخرون ، تنفيذ المنهاج التربوي ، انماط تعليمية معاصرة . (١٩٩٤)، دار الفرقان ، عمان /الاردن.
١٠. قطامي ، يوسف محمود ، نظريات التعلم والتعليم ، الاردن ، عمان، (٢٠٠٥).
١١. مرعي ، توفيق احمد و محمد محمود الحيلة ، طرائق التدريس العامة ، (٢٠٠٢)، دار المسيرة ، عمان الاردن.
١٢. ليمود ، حامد محمود ، منتق النقول في سيرة اعظم رسول ، (١٤٠٢ هـ)، رابطة العالم الاسلامي .